كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ

رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت

جامعة القدّيس يوسف في بيروت ورؤيتها لسنة 2025

بمناسبة عيد شفيع جامعة القدّيس يوسف

يوم الإثنين الواقع فيه 19 آذار (مارس) 2018

في مدرّج جان دوكروييه اليسوعيّ

حرم العلوم والتكنولوجيا – مار روكز

فخامة رئيس الجمهوريّة الجنرال ميشال عون، ممثّلاً بمعالي الوزير سليم جريصاتي،
حضرة رئيس مجلس النوّاب السيّد نبيه برّي، ممثّلاً بسعادة النائب السيّد باسم الشاب،
ومعالي رئيس مجلس الوزراء السيّد سعد الحريري، ممثّلاً بسعادة النائب السيّد باسم الشاب،
فخامة رئيس الجمهوريّة السابق ميشال سليمان،
سيادة الكاردينال مار بشارة بطرس الراعي، بطريرك أنطاكيّة وسائر الشرق، ممثلًا بسيادة المطران بول صيّاح، النائب البطريركيّ الماروني،
معالي الوزراء،
سعادة السفراء،
حضرات السيّدات والسادة النوّاب،
حضرات السادة رؤساء السلطات القضائيّة،
حضرات السيّدات والسادة رؤساء النقابات والرابطات المهنيّة،
حضرات السادة ممثّلي الجيش اللبنانيّ، وقوى الأمن الداخليّ والأمن العامّ،
حضرات السيّدات والسادة رؤساء الجامعات،
حضرات السادة رؤساء الهيئات الإجتماعيّة والإقتصاديّة،
حضرة الأب الرئيس الإقليميّ للرهبنة اليسوعيّة في الشرق الأوسط والمغرب،
حضرات السيّدات والسادة أعضاء المجلس الاستراتيجيّ للجامعة،
حضرات السيّدات والسادة أعضاء مجلس الجامعة،
حضرات السيّدات والسادة رؤساء وممثّلي إتّحاد ورابطات قدامى الطلاب،
حضرات السيّدات والسادة ممثّلي هيئة الخدمات العامّة،
حضرات السيّدات والسادة المعلّمين والمعلّمات،
حضرات السيّدات والسادة الطالبات والطلّاب،
أصدقاءنا الأعزّاء،

(مقدّمة)

1. إنّه لواجبٌ نابعٌ من القلب والروح أن أرحّب بكم جميعًا في هذا العيد ال 143 الذي تحتفل به جامعة القدّيس يوسف في بيروت، عيد شفيع جامعتنا الذي يُقام في لبنان المتخبّط في حمى الإنتخابات، الحريص على الوفاء بواجبه الديمقراطيّ على الرغم من الصعوبات المختلفة التي تواجهه. لا يسعني إلا أن أتمنّى النجاح التامّ لحكّامنا وفخامة رئيس الجمهوريّة، ورئيس حكومته ورئيس مجلس النوّاب في مهامّ كلّ منهم وفي ضرورة أن نسير ببلدنا ومواطنيه نحو الرفاه ونحو توفير المزيد من الإنارة الكهربائيّة وأوقاتٍ أقلّ ظلمة، وخدمات عامّة أكثر إنتاجيّة وحركة مرور أكثر سلاسة وأكثر أمنًا على طرقاتنا. هذا لا يمنع الجامعة من الإستمرار في سعيها من أجل تعزيز ثقافة أكاديميّة في خدمة الوطن.

2. في هذا السياق، يسرّ **جامعة القدّيس يوسف في بيروت، بالشراكة مع المعهد الفرنسيّ** في بيروت، أن تستقبل بيننا هذا المساء وفدًا من اثنتَي عشر عضوًا من معهد ال"كوليج دو فرانس" Collège de France، وهو اليوم شريكنا المميّز لأكثر من 12 عامًا. سعادة سفير فرنسا، إنّ حضوركم يشرّفنا هذا المساء لنستقبل معًا الرسل الإثني عشر القادمين بمناسبة عيد جامعتنا ليقدّموا لنا أفضل ما لديهم من معرفة من خلال برنامج من المحاضرات نُظِّم لهذه المناسبة.

هل يجب أن نتذكر أنّ ال "كوليج دو فرانس" هو معهد فريد في فرنسا ولا مثيل له في الخارج ؟
لقد نشأ المعهد في القرن السادس عشر عندما قرّر الملك فرانسوا الأوّل أن يعيّن أسماء "قرّاء ملكيّين" لتدريس موادّ لم تكن تُدرَّس في الجامعة، وهو اليوم حاضرٌ جدًّا على الساحة، مع أكثر من عشرة آلاف شريط فيديو بالصوت والصورة مُتاحة عبر الإنترنت. ال"كوليج" يضمّ أيضًا 48 أستاذ و51 كرسيّ مزوّدة ب 62 مختبر ويعمل مع مئات من الباحثين والمهندسين والتقنيّين والموظّفين الإداريين. إنّه مخصّص للبحث الأساسيّ، ويمتلك هذه السمة الفريدة التالية : نقل "المعرفة التي تتشكّل في جميع مجالات الآداب والعلوم أو الفنون"، من الرياضيّات إلى دراسة الحضارات الكبرى مرورًا بالفيزياء والكيمياء والبيولوجيا والطبّ والفلسفة والأدب والعلوم الإجتماعيّة والإقتصاد، وعصور ما قبل التاريخ وعلم الآثار والتاريخ ... وفقًا للفيلسوف موريس ميرلو بونتي Maurice Merleau-Ponty، "ما عُهِد إلى ال"كوليج دو فرانس"

بإعطائه إلى مستمعيه، منذ تأسيسه، لا يقتصر على حقائق مكتسبة بل على فكرة القيام ببحثٍ ثقافيّ حرّ".

تمّ توقيع أوّل إتّفاقيّة بين المعهد وجامعة القدّيس يوسف في شهر نيسان (أبريل) 2006 ؛ وهي تلقى الدعم من السفارة الفرنسيّة من خلال إتّفاقيّة محدّدة تمّ توقيعها في السنة نفسها. منذ ذلك الحين، قام البروفسور هنري لورينز Henry Laurens، رئيس كرسيّ قسم التاريخ المعاصر في العالم العربيّ في المعهد (الكوليج)، والصديق الكبير للجامعة وللبنان، بتوفير جزء من تعليمه في المعهد كلّ عام إلى جامعة القدّيس يوسف. في شهر آذار (مارس) 2009 ، وبمناسبة زيارة مدير المعهد البروفسور بيار كورفول Pierre Corvol إلى جامعة القدّيس يوسف، تجدّد إبرام الإتّفاقيّة بين المعهد (الكوليج) وجامعة القدّيس يوسف ب"إنشاء كرسيّ لاستقبال أساتذة المعهد (الكوليج) في جامعة القدّيس يوسف" بغية تعزيز التدريس المُعطى من أساتذة ال"كوليج دو فرانس" في لبنان، لصالح طلاب ومعلّمي جامعة القدّيس يوسف... وجميع اللّبنانيين المهتمّين.

منذ ذلك الحين، قدم أكثر من 20 بعثة من الاستاذة من ال"كوليج دو فرانس" إلى الجامعة من أجل تعزيز تأثير الفرنكوفونيّة. كان تجديد الإتّفاقيّة بين المعهد وجامعة القدّيس يوسف في العام 2016 فرصة لتضمينها فقرة حول الدعوة الموجّهة من المعهد إلى بعض المعلّمين من جامعة القدّيس يوسف وتنقّل باحثيها الشباب نحو المعهد خاصّةً وأنّ هذه الإمكانيّة تفتح آفاقًا واعدة لشبابنا من الأساتذة الباحثين وطلاب الدكتوراه من أجل تعزيز البحوث ذات التخصّصات المتعدّدة، ومن أجل تطوير التنشئة أيضًا من خلال البحوث والمساهمة في انتشار الفرانكفونيّة. في شهر كانون الأوّل (ديسمبر) الماضي، جمعت جامعة القدّيس يوسف مجلسها الاستراتيجيّ في المعهد (الكوليج) نفسه كمؤشّر على مدى استمراريّة تعاوننا.

نرحّب بوفد المعهد (الكوليج) وندعوكم إلى سلسلة من المؤتمرات والموائد المستديرة والندوات التي ستُعقَد غدًا وبعد غد في حرم أو آخر من أحرام الجامعة أو في المساحة الثقافيّة الفرنسيّة، لأنّ السفارة الفرنسيّة في لبنان هي، في هذه الحالة كما هو الحال في العديد من المجالات، شريكتنا المميّزة.

كيف لا نذكّر أنّ معهد ال"كوليج دو فرانس" الذي كان يحمل اسم المعهد الملكيّ في بداية تاريخه، إستقبل في القرن السابع عشر العالمَين المارونيَين جبرائيل الصهيونيّ وابراهم الحاقلاني وآخرين، وكانا قد تلقّيا التنشئة على يد اليسوعيين في المدرسة المارونيّة في روما وذلك ليعلّما اللّغة العربيّة واللّغات الشرقيّة. لقد كانا مترجمَين من ذوي الخبرة، شرّفا بلدهما جبل لبنان في ذلك الوقت ؛ وهكذا إحتفظ معهد ال"كوليج دو فرانس" في حناياه بعطرٍ لبنانيّ ما زال يعبق بالشذا الطيّب حتّى أيّامنا هذه.

3. رؤيتنا للمستقبل حتّى الذكرى 150 لتأسيس الجامعة

حين وضعنا للقائنا اليوم عنوان "جامعة القديس يوسف في بيروت ورؤيتها للسنة 2025"، كان هدفنا التأكيد على أنّ جامعتنا تسير بخطى سريعة نحو اليوبيل الشبابيّ من عمرها ال 150 سنة بما أنّها تأسّست رسميًّا في العام 1875. بالنسبة إلى مؤسّسة كانت في طليعة كلّ مراحل نضال وطننا، ولا تزال، كان حقّها المشروع أن تفكّر بمستقبلها وتربط الإحتفال بهذا العيد برؤيةٍ عمّا نريد أن تكون عليه جامعتنا في السنة 2025. لقد قمنا بالفعل ببلورة هذه الرؤية عن طريق مجالس إستشاريّة ومجموعات صغيرة، وبعض عناصر محتواها تمّ تنفيذها مسبقًا منذ العام 2015 وحتّى قبل ذلك العام. وسوف تصبح هذه الرؤية واقعًا بحيث سيشعر كلّ فرد في مجتمعنا بأنّه معنيّ، وسوف ينخرط في هذه الرؤية ويحقّقها.

4. رؤية القدّيس يوسف في أحلامه الثلاثة

نظرًا لاهتمامنا بتحقيق هذه الرؤية، دعونا نتوجّه نحو القدّيس يوسف، شفيع جامعتنا، في هذا اليوم من عيده، لنلتمس منه المساعدة، هو الذي كان نجّارًا حكيمًا وصاحب مشورة، وأبًا للعائلة المقدّسة. دعونا نتذكّر أحلامه الثلاثة التي يذكرها الإنجيل بحسب القدّيس متّى[1] فهي تُخبرنا بأنّ يوسف كان يسترشد بملاك الله للحصول على رؤية جيّدة تتعلّق بمهمّته المتمثّلة في الأخذ على عاتقه كلمة الله. نحن أيضًا، بشفاعة القدّيس يوسف، وباتّخاذه كنموذج، نلتمس نعمة عيش الحلم الجميل الذي سنستوحي من خلاله الإلهام الصحيح من أجل أن نحبّ من كلّ قلبنا ما نقوم بع من عمل ونحصل أيضًا على الرؤية الصائبة من أجل مستقبل جامعتنا.

1) متّى، 1، 16-25.

بعد هذه المقدّمة الطويلة سيتوزّع خطابي على أربعة أجزاء :

1. نظرة تاريخيّة حول رؤية مؤسّسي جامعتنا.

2. وجهة نظر من أعادوا تأسيس جامعتنا في العام 1975.

3. الموضوعات الرئيسيّة في رؤية السنة 2025.

4. التهديدان الموجّهان نحو التعليم العالي اللبنانيّ : نقص فرص العمل وأوضاع الخلل في النظام الجامعيّ اللّبنانيّ.

القسم الأوّل : رؤية مؤسّسي جامعتنا : قراءة نصّ للأب اليسوعيّ فرنان دو لانفرسين Fernand de LANVERSIN

أثناء البحث في أرشيف الجامعة، وبعد بحثٍ طويل، وجدتُ كتاب "تاريخ موجز" يتطرّق إلى تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت في سجّل الزوّار الذهبيّ الذي نُشِر بمناسبة مرور 75 عامًا على تأسيس كليّة اللاهوت والفلسفة في الجامعة[2]. كان مؤلّفه الأب فرنان دو لانفيرسين معروفًا في الخمسينيّات، وهو من قدامى خرّيجي كليّة اللاهوت مثل البطريرك الراحل أنطوان خريش، والبطريرك نصرالله صفير، وكلّ من المطرانين الراحلين ميشال ضومط، أحد اللاهوتيّين الأكثر تقديرًا في الكنيسة المارونيّة، وسيّدنا إغناطيوس زيادة والعديد من الأساقفة والكهنة الآخرين من الكنائس الشرقيّة. كان الأب دو لانفرسين يعلّم اللاهوت العقائديّ وساهم في تنشئة أجيال من لاهوتيّي وكهنة الكنائس الشرقيّة. من هذا النصّ الذي وقّعه دو لانفرسان، أعرض العِبَر الخمس الأولى التالية :

العبرة الأولى هو نداء للعودة إلى المصادر : يقول لنا الأب دو لانفرسين، في مستهلّ نصّه، إنّ طلبًا وُجِّه إليه بأن يكتب هذه المحاضرة في تاريخ الجامعة، ممّا سمح له بالعودة إلى الوثائق والنصوص المتعلّقة بتأسيس الجامعة، وغالبًا بإنشاء مؤسّساتها المختلفة. **في الوقت نفسه ، كان يبدو له أنّ ممارسة إعادة القراءة هذه كانت بالنسبة إليه نوعًا من العودة إلى المصادر** : (أقتبس منه :) "نحبّ أن نتحدّث اليوم عن" العودة إلى المصادر". إذا كانت الكلمة جديدة، فالفكرة قديمة وتدعو للرجوع إلى مصدر حركة

2) جامعة القدّيس يوسف، كليّة اللاهوت، 1881-1956، المطبعة الكاثوليكيّة، بيروت، 1956.

من الحركات، أو مؤسّسة من المؤسّسات، لنستمدّ من نضارتها الأولى معنى العمل الذي تقوم به، وطابعها الحقيقيّ بالإضافة إلى بروزها الواعد". اليوم، كما بالأمس، نحن مدعوّون للعودة إلى المصدر عن طريق الرجوع إلى الماضي المُفعَم بالمعاني بغية تجديد معنى رسالتنا الجامعيّة، وهذا ما استمرّ الرؤساء العامّون الثلاثة الأخيرون للرهبنة اليسوعيّة بالتذكير به. الأب أرتورو سوزا Arturo Sosa، رئيس الرهبنة الحاليّ، في رسالة أرسلها مؤخّرًا إلى جامعة "ايبيرو أمريكانا" IberoAmericana، في عيد ميلاده ال75، لا يتردّد في الطلب إلى الجامعات إصلاح هيكليّاتها (أقتبس منه) : "لا يجب أن نطرح السؤال ما إذا كانت هيكليّاتنا جيّدة، لكنّ السؤال الجيّد يكمن في ما إذا كانت هذه الهيكليّات تتطوّر نحو خدمة أفضل لرسالتها الأكاديميّة والإجتماعيّة"[3]. **الدرس الثاني صاغه** دو لانفرسين حين أضاف، (أقتبس منه) : "دعونا إذن نعود إلى المصدر – أو إذا صحّ التعبير – إلى البيضة (النواة) البدائيّة، فخلال 35 سنة كانت جامعتنا مختبئة فيها قبل نشأتها في شباط (فبراير) 1881، وفي تاريخ الإحتفال بعيد تأسيسها"[4]. في الواقع، يعيد لانفرسين LANVERSIN تأسيس الجامعة ليس إلى العام 1875 أو العام 1881 عندما منحها الكرسيّ الرسوليّ صفة جامعة كاثوليكيّة، ولكن إلى 19 آذار (مارس) 1846 عندما شُيِّدت الإكليريكيّة الشرقيّة في غزير باسم القدّيس فرنسيس كزافاريوس François Xavier، شفيع الإرساليّات، كأوّل معهد للتنشئة الجامعيّة لإكليروس الكنائس الشرقيّة. في هذه المرحلة، وإذا قبلنا بفرضيّة اللاهوتيّ في رهبتنا الذي أصبح مؤرّخًا، نحتفل اليوم بمرور 172 عامًا على تأسيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت وليس 144 عامًا. وهكذا، إذا توقّفنا عند تاريخ 19 آذار (مارس) 1846 كتاريخٍ تأسيسيّ، تكون جامعتنا أقدم ب 20 عامًا من الجامعة الأمريكيّة في بيروت التي احتفلت العام الماضي بالذكرى الخمسين بعد المائة على تأسيسها.

يعطينا دو لانفرسان درسًا ثالثًا : الآباء المؤسّسون في جامعة القدّيس يوسف لديهم أسماء، إنّهم الآباء بنوا بلانشيه Benoît PLANCHET، ولويس كانوتي Louis CANUTI الايطاليّ في غزير وفرنسيس كزفاريوس غوترولیه François Xavier GAUTRELET، وأمبروزيزس مونو Ambroise MONNOT، وفرنسيس كزفاريوس بايو François Xavier PAILLOUX، مهندس البناء المعماريّ،

3) رسالة 12 آذار (مارس) 2018 بمناسبة مرور 75 سنة على تأسيس جامعة أيبيرو أمريكانا.
4) السجّل الذهبيّ، المرجع نفسه، ص 12.

وريمي نورمان Rémi NORMAND في بيروت[5]. في إحدى رسائله، يقول الأب لويس جالابير Louis JALABERT الذي عاش في التسعينيّات من القرن الماضي : "لقد كان الأب غوترولیه[6] Gautrelet، رجل الله، أوّل من ارتأى وجوب أن تصبح بيروت مركزًا للإرساليّة وإليه يعود هذا الشرف. قد تكون حكمة رجل متقدّم في السنّ من ضمن التوقّعات، إلا أنّ وحدها أكتاف شابّ ستكون قويّة لتحمّل العبء الساحق في إنشاء مؤسّسة جديدة ؛ هذا الرجل كان الأب أمبرواز مونو *Ambroise MONNOT*". **وكذلك الأمر**، أشاد المؤلّف بالكليّتين الحبريّتين، كليّتَي اللاهوت والفلسفة التي تتمثّل مهمّتهما في تنشئة رجال الدين الكاثوليك الشرقيين على التميّز الدينيّ والروحيّ، مع العلم أنّ أوّل شهادة دكتوراه منحتها الجامعة الناشئة في لبنان كانت في اللاهوت. يستخدم دو لانفرسين صيغة جريئة جدًّا في أسلوبها ليُعلن أنّ جامعة القدّيس يوسف لن تكون في اللاهوت والفلسفة فحسب. (أقتبس منه :) "نشأت جامعة القدّيس يوسف وهي تضمّ كليّتين في اللاهوت والفلسفة. هذا هو الضروريّ ؛ ولكنّ هذا قليل بالنسبة إلى جامعة. ما يلي لن يتأخّر في الظهور"[7]. ستتحقّق هذه الرؤية بشكلٍ ملموس بإنشاء كليّة الطبّ التي تشكّل نتيجة لهذا الإتّحاد المقدّس المدهش بين اليسوعيين وفرنسا المناهضة للإكليروس. (أقتبس منه :) "لم تكن مناهضة الكهنوتيّة بالنسبة إلى ليون غامبيتا *Léon GAMBETTA* مادّةً للتصدير ؛ لذا قَبِل في سوريا مساهمة هؤلاء اليسوعيّين الذين وزّعهم في فرنسا ومنعهم من التعليم". فيما يلي ستجمع الكليّة الشرقيّة في العام 1902 قائمة طويلة من اليسوعيّين البارزين الذين تميّزوا أنفسهم في مجال دراسات اللّغات الساميّة والدراسات العربيّة، وعلم الآثار وعلم المتحجّرات، والتاريخ، والفلسفة، واللّغات القديمة مع اثنين من المنشورات الرئيسيّة، مجلّة "المشرق" ومجلّة متفرّقات أو مجموع مقالات *Mélanges* جامعة القدّيس يوسف في بيروت. في العام 1913، تم إنشاء معهدَي الحقوق والهندسة بالتعاون مع مدينة "ليون". أمّا بالنسبة إلى مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France، فسيتمّ إيقاف بنائه مع اندلاع حرب 1914-1918. إستمرّت هذه الشراكة مع فرنسا وما زالت، كما مرّت بأوقاتٍ عصيبة، لكنّ النتيجة ملموسة : تستمرّ جامعة القدّيس يوسف وستستمرّ ناطقة باسم جودة الفرنكوفونيّة في هذه المنطقة من العالم.

---

5) التحقّق من عدّة معلومات من وثائق متعدّدة يعطي هذه السلسلة من الأسماء. راجع :

6) Cf. Notice dans Henri Jalabert, op. cit.

7) السجّل الذهبيّ، صفحة 15.

العبرة الرابعة التي أعطاها الأب دو لانفرسين تلخّص هذه الفترة على النحو التالي للتأكيد على الرؤية التي قام على أساسها إنشاء الجامعة (أقتبس منه :) "كان من الضروريّ أن نتذكّر ما الذي كلّف (تأسيس الجامعة) والشعور العارم بالامتنان الذي نكنّه في البداية إلى العناية الإلهيّة، التي رعت بشكلٍ رائع جدًّا مساهمة البشر وتكيّفهم مع الظروف، كما كان لابدّ أيضًا أن نذكر جميع أولئك الذين أعدّوا لتأسيس هذه الجامعة وتطويرها : (من) الرؤساء الذين يتمتّعون بوجهات نظر واسعة للمستقبل، و(من) البنّائين الجريئين والمثابرين، و(من) المحسنين الرائعين لا بل من حشد المتبرّعين مجهولي الاسم الذين يتفانون في العمل ويقدّمون الهبات وما يتخطّى الحاجة إليها في الكثير من الأحيان. من هنا، وكما هو الحال في تنوّع جماعاتها وانتماءاتها وأساتذتها القادمين من مختلف الأفق، كانت الجامعة تؤكّد ذاتها بشكلٍ أساسيّ كعملٍ كاثوليكيّ[8].

العبرة الخامسة والأخيرة يُستَخرَج منها أيضًا ثلاث سمات، أثّرت بحسب دو لانفرسين، على رؤية المؤسّسين، بالإضافة إلى رؤية من جاؤوا بعدهم : **السمة الأولى تكمن في الاهتمام بتعزيز التنوّع** بدءًا بعائلة الكاثوليك الشرقيين الكبيرة، وهذا على عكس بعض المؤلّفين[9] الذين أرادوا أن يعتقد الناس بأنّ الجامعة تمّ إنشاؤها للموارنة فقط، ومن ثمّ إمتدّ هذا التنوّع إلى غير الكاثوليك ثمّ إلى غير المسيحيّين، الأمر الذي أصبح بسرعة واقعًا في كليّة الطبّ وفي الجامعة ككلّ. **السمة الثانية، ثمرة هذه الرؤية، تتعلّق بوضع الجامعة بالنسبة إلى الكنيسة والدولة** (أقتبس منه :) "تشكّل جامعة القدّيس يوسف مثلاً رائعًا على ما هي عليه الجامعة في الكنيسة وفي الدولة : فهي ليست مجرّد أداةً من أدوات الدولة أو حتّى قسمًا منها (...) ولكنّها هيئة تحكم ذاتها، وإن لم تكن غير مستقلّة، أوكِلَت الكنيسة مهمّة إدارتها والدولة حقّ الرقابة. هكذا فهمتها كلّ دول أوروبا (ناهيك عن دول الإسلام) (...). لا تزال الإستقلاليّة سائدة اليوم في الجامعات الإنجليزيّة الكبيرة"[10].

السمة الثالثة لهذه الرؤية تتعلّق بغاية الدراسات العليا في رسالة جامعتنا التي لا يمكنها أن تكون نفعيّة أو تبغي وظيفة منتجة فحسب. **لقد حدّدها مؤلّفنا** على النحو التالي (أقتبس منه) : "في حين أنّ التمويل،

---

8) راجع السجّل الذهبي، صفحة 15.

9) Raphaël Herzstein, Les pères jésuites et les Maronites du Mont Liban : l'Université Saint-Joseph de Beyrouth, Histoire et missions chrétiennes, 2009/1 (n°9) :
الآباء اليسوعيّون والموارنة في جبل لبنان : جامعة القدّيس يوسف في بيروت، التاريخ والإرساليّات المسيحيّة، 1/2009 (رقم9).

10) المرجع السابق، صفحة 16.

والصناعة، والأشغال العامّة هي مجرّد وسائل من أجل تحقيق الصالح العامّ الزمنيّ الذي تصبو إليه الدولة، ليست الدراسات العليا (...) مجرّد وسيلة، ولكنّها غاية حقيقيّة. فهي تخضع من دون شكّ إلى الغاية الأخيرة، ولكنّها جديرة بالبحث عنها والمثابرة عليها. إنّ هذه الرؤية المتعلّقة بغرض التعليم العالي الذي يسعى إلى تكوين شخصيّة إنسانيّة متناغمة هي الرؤية نفسها التي نتمتّع بها في أيّامنا، حتّى لو كان على الخرّيج أن يتقن المهارات المهنيّة اللازمة لممارسة مهنة من المِهَن.

وأخيرًا، هذه الرؤى الثاقبة التي تمتّع بها اللاهوتيّ اليسوعيّ في رهبنتنا ترتبط بمبدأ عمليّ بحيث أنّ مهمّة الجامعة تكمن في العمل من أجل إنعاش وطن بعد حربين متتاليتين، ومن أجل إعادة إحياء الدراسات العليا في مجال الإستشراق.

القسم الثاني : 1975 إنطلاقة جديدة، رؤية جديدة : جان دوكروييه Jean DUCRUET وبيتر هانز كولفنباخ Peter Hans KOLVENBACH

لم تفتقر الجامعة أبدًا إلى أصحاب رؤى واقعيّين يعرفون قراءة علامات الأزمنة. في العام 1975، كانت الجامعة مهدّدة في وجودها حيث سعى البعض إلى تعليق أنشطتها. الأزمات التي غرقت فيها وجدت شخصيّات مدعومة من الرهبنة اليسوعيّة نفسها من أجل رفعها وتأطير مستقبلها مرّة أخرى. أحد أسياد عمليّة الإنقاذ هذه كان سلفنا العزيز والمرحوم رئيس الجامعة جان دوكروييه، وهو صاحب الرؤية الذي قاد الجامعة نحو استقرار يسمح لها بالقيام اليوم بمهمّتها الأكاديميّة والإجتماعيّة. بالنسبة إليه، (أقتبس منه :) "تُعتَبَر الجامعة لبنانيّة لأنّها عملت دائمًا من أجل لبنان يتّسم بهويّته الخاصّة، وبسبب الدور الاستثنائيّ الذي لعبته في تنشئة رجالٍ صنعوا لبنان. ربّما تمكّنت من لعب هذا الدور لأنّها ليست مارونيّة ولا روم ولا سنيّة ولا شيعيّة، فهي بكلّ بساطة لبنانيّة[11]". هذه الحريّة هي التي سمحت لها أن تبقى حاضرة في مجمل الأراضي اللبنانيّة وأن تكون معروفة ومُعتَرَف بها من الجميع، الأمر الذي يجب عليها أن تحافظ عليه على الرغم من كلّ إغراءات الإنطواء على الذات. يضيف دوكروييه DUCRUET، في النصّ نفسه، أنّ المهمّة الرئيسيّة للجامعة تكمن في التنشئة الفكريّة التي تقدّمها إلى طلابها، حتّى لو توجّب على الجامعة أن تنقل القيم الأخلاقيّة التي لا يتمّ اكتسابها أسوةَ بالأدب أو الكيمياء، ولكن من خلال الأفعال

11) Jean Ducruet, l'Université et la Cité, Université Saint Joseph de Beyrouth, 1995, p. 293-294.
الجامعة والمدينة، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، 1995، صفحة

والمواقف. في هذا الإطار من الأفكار، يشير الأب دوكروبيه إلى القيمة المُضافة الجوهريّة التي تجلبها جامعة القدّيس يوسف إلى كلّ طالب (أقتبس منه :) "خلال أربع أو خمس سنوات من حياتها، تجعل الجامعة الطالب يعيش في بيئة حيث لا يدين بنجاحه إلى توصيات أو إلى انتمائه إلى جماعة معيّنة بل لأنّ المعيار هو عمله وقيمته الشخصيّة، بيئة يُحتَرَم فيها لنفسه وليس بسبب ثروته وأسرته أو محيطه الحامي له ؛ (في بيئة) يحترم فيها الآخرين، إذا لزم الأمر، عن طريق قبولهم باختلافهم[12]. حول مكانة العلمانيّين في تولّيهم مناصب مسؤوليّة، يوضح الأب دوكروبيه (أقتبس منه :) "إذا كان يتوجّب على رئيس الجامعة أن يكون يسوعيًّا، وفقًا لنصّ الشرعة، فإنّ جميع المناصب الأخرى مفتوحة أمام العلمانيّين. المكان الذي مُنِح إلى العلمانيّين ليس مجرّد نتيجة خيار وقع على العلمنة بسبب نقص في عدد اليسوعيّين، حتّى لو كان هذا النقص موجودًا. إنّه في المقام الأوّل مُعطى تاريخيّ. وحدهما كليّة اللاهوت والكليّة الشرقيّة في العام 1902 كانتا مؤسّستين يسوعيّتين بالكامل، بينما كانت الكليّات الأخرى إمّا مؤسّسة علمانيّة أو خليط من اليسوعيّين والعلمانيّين"[13]. من هنا، لا ينسى دوكروبيه أن يؤكّد أنّ جامعة القدّيس يوسف تؤدّي مهمّتها في التعليم والبحث، في منظورها المسيحيّ، منذ تأسيسها (أقتبس منه :) "لم يزعجها أبدًا إستقبال أعضاء ينتمون إلى جميع الجماعات اللبنانيّة التي تُعتَبَر تعدديّتها إحدى خصائص المجتمع اللّبنانيّ. قبول التعدديّة، حتّى في مجال الإيمان الدينيّ، هو قبول الإختلاف"[14]. ولكن ألا تنسى هذه الرؤية دور السياسة والسياسيّين اللبنانيّين في التلاعب بالدين والطائفيّة نفسها لمصالحهم الخاصّة ؟

سوف يستكمل الأب الراحل بيتر هانز كولفنباخ، الرئيس الإقليميّ للرهبنة في ذلك الوقت، عناصر هذه الرؤية التي تمّت بلورتها في العام 1975، خلال مقابلة طويلة منحنا إيّاها قبل وقت قصير من وفاته[15]. نستخرج ثلاث أفكار رئيسيّة من تحليله للأحداث التي أدّت إلى إقامة إدارة جامعيّة مستوحاة من النموذج الجامعيّ الغربيّ : الفكرة الأولى تكمن في أنّ "الشرعة (التي تمّ التصويت لها في العام 1975) هي النصّ الأساسيّ الذي يستَمَدّ منه التنظيم برمّته والروح التي تخيّم على مؤسّسة جامعة القدّيس يوسف ككلّ". تُجيب هذه الشرعة على السؤال التالي : من أنت ؟ ما هي هويّتك ؟ لقد حاولت الشرعة، في سياق حقبة من لبنان الممزّق بين الشرق والغرب، أن تُجيب بوضوح على السؤال، مع التركيز على "لبنان العيش

12) المرجع السابق، صفحة 297.
13) المرجع السابق، صفحة 298.
14) المرجع السابق، صفحة 298.
15) تمّت المقابلة في 7 تمّوز (يوليو) 2016.

المشترك والمنفتح ثقافيًّا" وكانت جامعة القدّيس يوسف تريد أن تكون نموذجًا له وملهمته. تؤكّد الفكرة الثانية على الفصل الثالث من الشرعة الذي يمنح المجتمع سلطة وصاية للرهبنة اليسوعيّة على الجامعة (أقتبس منه :) "بدون هذا الفصل الثالث، لا وجود لجامعة القدّيس يوسف في بيروت. وهذا يعطي، في حدود النصّ وفي مجالات محدّدة، سلطة وصاية للرهبنة اليسوعيّة : ضمان أهداف المهمّة والإخلاص للقيم، وكان هذا هو المُراد. عندما يصيب هذا الأمر الهدف الذي أُنشِأت الجامعة من أجله، يمكن للرئيس الإقليميّ، لا بل يجب عليه أن يتدخّل، على سبيل المثال **إذا كان أحد الأطبّاء أو أحد المعلّمين يُشيد بالإجهاض**. لكنّ الرهبنة لا تستطيع أن تتدخّل في تفاصيل الإدارة ويجب أن تحدّد مكانها على هذا المستوى. وقد كانت قد بدأت تضع ثقتها في الجمعيّة التأسيسيّة المكوّنة من يسوعيّين وعلمانيّين والتي ستصبح مجلس الجامعة". تأتي الفكرة الثالثة من واقع أنّ الشرعة كانت تستجيب لتحدٍّ مزدوج صاغه الأب كولفنباخ KOLVENBACH على النحو التالي : عدم جعل الجامعة تفقد حدسها في ما يتعلّق بتأسيسها ومهمّتها كما بلورتها الرهبنة، وعدم المسّ بالإستقلاليّة التي يتمتّع بها الحكم الإداريّ والأكاديميّ. ويضيف كولفنباخ : "بالنسبة إلى دوكروبيه، ما أفهمه تمامًا هو أنّنا لا نستطيع التحدّث عن المشاركة الداخليّة وتحمّل المسؤوليّة لدى العلمانيّين من دون مبدأ الإستقلاليّة. الإستقلاليّة فيما يتعلّق بالرهبنة هي عاملٌ أساسيّ من عوامل التعزيز والمشاركة". ومع ذلك، فإنّ "نصّ الشرعة شامل بما فيه الكفاية بحيث يجب تفسيره بما يحمله في أدنى معانيه وأقصاها"، وكذلك بالمعنى المزدوج الذي يحترم حدس الرسالة والإخلاص لها، ذلك الحدس الذي يأتي من الرهبنة ومن الإستقلاليّة التي تتمتّع بها الجامعات. من هذا المنطلق، ستشهد إدارة جامعتنا في وقت قريب إنشاء مجلس أعلى يتناول الفكرة الأمريكيّة لوجود مجلس أمناء من أجل إقامة توازن أفضل للقوى داخل الجامعة، ولكن أيضًا لدعم تطوّرها وتعلّقها بقيم الفرنكفونيّة والتقليد التعليميّ للرهبنة اليسوعيّة.

القسم الثالث : رؤيتنا للسنة 2025، في لقاء سنوات جامعة القدّيس يوسف ال150

دعونا نأتي إلى حاضر جامعتنا ومستقبلها. كما تبيّن لنا، الجامعة هي نتاج حلم المؤسّسين اليسوعيّين وهو حلمٌ نضج منذ أمدٍ طويل، منذ العام 1845. كانت رؤيتهم تتمثّل في أن يقدّموا تنشئة لرائدين في التحوّل الإجتماعيّ والوطنيّ، مزوَّدين بقيم الإستقامة والتميّز، في التخصّصات المدنيّة والدينيّة. وقد جدّد

من أعادوا تأسيس الجامعة في العام 1975 رسالة الشرعة ورؤيتها سعيًا إلى بناء تماسك مؤسّسات الجامعة وديمومتها القائمة على قيم تجمع الوحدة بالمشاركة، والأصالة بالحداثة، والتقنيّة والكفاءة المهنيّة بالثقافة المتجذّرة بالايمان والإنسانيّة. كانت الوثيقة التي تمّت بلورتها في العام 2002، خلال ولاية الأب سليم عبو، تقوم بتأوين رؤية الجامعة للسنوات 2002 إلى 2010 في سبع نقاط، مؤكّدةً على تميّز الشهادات وتأثيرها اللّبنانيّ والإقليميّ، وإتقان اللّغتين الفرنسيّة والإنجليزيّة، وإعداد الطلاب للعمل، والإنفتاح على برامج جديدة والإلتزام بقيم الحريّة والمواطنة[16].

اليوم، في ضوء الإحتفال بمرور 150 عامًا على تأسيسها في العام 2025، وبمواجهتها العديد من التحدّيات الخاصّة بها والتحدّيات المحيطة بها، تجدّد الجامعة رؤيتها باعتبارها مجتمع أكاديميّ يضمّ اليسوعيّين والعلمانيّين. كونها في استمراريّة مع حدس المؤسّسين، تحافظ الجامعة على الأسس نفسها لرسالتها، وتفضّل من أجل المستقبل فكرة الجامعة التي تهدف إلى تميّز التنشئة من خلال اكتساب الكفايات والمهارات والاهتمام بإعطاء جواز مرور صالح لإمكانيّة توظيف خرّيجيننا، وأهميّة الأبحاث الأساسيّة والتطبيقيّة، في لبنان والشرق الأوسط، وتقديم الخدمة إلى المجتمع، لا سيّما المجتمع الذي يرزح تحت وطأة المعاناة، والبغض والقلق بشأن مستقبل أبنائه، مع العلم أنّ الخدمة الأخرى التي يجب تأمينها هي التربية على المواطنة. وهي تسعى إلى تشجيع الطلاب على اكتساب كفايات ومهارات قائمة على الإنسانيّة الموجّهة التي تعترف بالتعدّديّة الدينيّة والثقافيّة والإجتماعيّة، وهي إحدى أركان الفرنكوفونيّة، ولكنّها تسعى إلى تطوير إدارة ديمقراطيّة لهذه التعدّديّة من منظور التقارب والإنسجام. نحن نعلم أنّ تفكّك الدولة يسلّط الضوء على الهويّات السياسيّة والإنتماءات الدينيّة والمذهبيّة بطريقة تجعل المواطن يصبح مواطنًا وفقًا لانتماءاته بدلاً من أن يصبح مواطنًا امن أجل الدولة. لم يعد بلدنا يستطيع أن يعيش مشاعر الشغف تجاه الهويّة، تلك المشاعر التي تتّسم بطابع مقدّس. وكذلك الأمر، هي تعتزم تطوير فكرة جامعة تكون ملتقى طرق وتقدّم نفسها على أنّها واجهة ثقافيّة ولقاء بين الأديان، وكذلك الأمر واجهة وطنيّة وإقليميّة ودوليّة تهدف أن تكون مساحةً للنقاش والمصالحة بين اللّبنانيين وغير اللّبنانيّين من خلال

16) وثيقة نشرتها لجنة خاصّة في العام 2002 وكانت قد اقترحت إصلاحين مهمّين : إعتماد عمليّة بولونيا وإدخال اللّغة الإنكليزيّة كإحدى متطلّبات نيل الطالب لشهادة الإجازة أو الماستر.

تعدّديّة طلّابها وهيئتها التعليميّة والإداريّة، وطلابها القدامى. سأعرض هذه الرؤية زأضعها ضمن الإعتبارات الستّة التالية :

في المقام الأوّل، نحن لا نبني المستقبل إذا لم تتمتّع أسرتنا الجامعيّة بالروح نفسها. إنّ هذا السعي لإحياء الروح الجامعيّة لا يتمّ بدون العمل من أجل التوفيق بين هذه الروح والمؤسّسة، وهذا لا يمكن تحقيقه من خلال دعوة أو إلتزام هامشيّ ولكن من خلال العمل على الذات الذي يقوم به من كلّ فرد من أفراد الجماعة، ومجموع الاسرة الأكاديميّة والمُضيفة. هذه الروح ليست ولاءً لأيّ أيديولوجيّة، بل هي ارتباط مستمرّ ومتجدّد وعمليّ لروح شرعتنا وحرفيّتها، أي لقيم الإستقامة، والصدق الفكريّ، والإحترام المتبادل للإختلافات، والبحث عن الحقيقة في الالتزام واحترام كلّ شخص في معتقداته، وقيم الإبتكار والإبداع، والتضامن، ومشاركة الآخرين في المهمّة نفسها، مهمّة بناء الإنسان فينا وبيننا. إنّها روح تؤكّد لنا، وعن قناعة، بأنّ جامعتنا ما زالت معيارًا للتميّز في مجال التنشئة الجامعيّة. من خلال اعتماد تعبير "العودة إلى المصدر" الذي اعتمده لانفرسين LANVERSIN، سيكون من الطبيعيّ تقديم برامج تنشئة مستدامة تعزّز لدى المعلّمين والموظّفين الإداريين والطلاب التعلّق بالقيم التي تدعو إليها الجامعة وكذلك التعلّق بالمؤسّسة. إذا كانت هذه التنشئة تشدّد على التطوير الذاتيّ والمهنيّ، ستنجح فعلاً عندما تتجاوز ما هو فرديّ لتهتمّ بشأن بناء المجتمع ونجاح مهمّته. وبهذه الطريقة سينمو الإحساس بانتماء المعلّمين والطلّاب إلى أمّهم المربّية كضمانٍ لبقاء الأسرة الجامعيّة ورسالتها. ونحن نعتبر أنّ إحساس الطلاب بالإنتماء إلى "أمّهم المربّية" هو ضمان بقائهم في الأسرة الجامعيّة.

ثانيًا، إنّ ثقافة الجودة وضمان هذه الجودة التي سبق واعتمدناها كمطلب داخليّ والتي تتعزّز بواسطة الممارسات الجيّدة في التعليم الجامعيّ والعمل الإداريّ، يجب أن تؤدّي – ونأمل أن يكون ذلك في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) المقبل – إلى الإعتماد الأوروبيّ لاثنتي عشر مستوى ومعيار تلتزم بها رسالة المؤسّسة وأنشطتها. أعتقد أنّ هناك وعيٌ لمجمل هيئتنا التعليميّة بأنّ الجودة، منذ أرسطو وحتّى أيّامنا هذه، ليست حادثة عرضيّة أو أمرًا هامشيًّا. إنّها في صميم حيويّة مهمّة الجامعة وروحها. تقوم جامعتنا، المجنّدة دائمًا في خدمة التميّز، بمراجعة برامجها الأكاديميّة وتعزيزها باتّجاهين : من ناحية الإمتثال لمتطلّبات عمليّة بولونيا التعليميّة ومن ناحية أخرى، وضع حدّ للبرامج التي فقدت أهميّتها مع مرور الوقت. ترتبط هذه المراجعة وسوف ترتبط بتحديدٍ أفضل للبرامج الجديدة التي تلبّي الإحتياجات الحقيقيّة

والأخذ بالاعتبار بشكلٍ أفضل سوق العمل الذي يخضع للمتغيّرات المستمرّة بحيث أنّ 40 إلى 50 في المائة من الوظائف اليوم، وفقًا للخبراء، سوف تختفي في غضون عشرين عامًا. قال أحد كبار الخبراء في الجامعة : "البرامج الأكاديميّة التي لا تؤدّي إلى العمل تصبح معادية للجودة. كانت التكنولوجيا الرقميّة ولا تزال ورشة عمل كبيرة من البناء وإعادة البناء في جامعتنا، في موضوعَيها البارزَين، كأداة في خدمة التعليم والبحث وكمنبر لخدمة الإدارة، ممّا يوفّر إستثمارات كبيرة في هذا المجال. من بين المشاريع المستقبليّة التي سأقترحها على مجالسنا، هناك إنشاء كليّة أو معهد للفنون الجميلة الذي سيضمّ تخصّصات جديدة أو قائمة في المعاهد الأخرى مثل هندسة الديكور، والسمعيّ البصريّ، والموسيقى، والتصميم الجرافيكيّ، وتصميم الأزياء. وفي المستقبل سوف يُثير تعزيز التكنولوجيا الرقميّة ومشتقّاتها، مثل ريادة الأعمال، إهتمامنا للتأثير على إنتاج هذه المعرفة على المستوى الإقليميّ. بهذا المعنى، وعلى الرغم من الصعوبات، ما زلنا موجودين وما زلنا نطوّر مركز الدراسات الجامعيّة في الحقوق والترجمة في دبي. وعلى امتداد ثلاث كليّات من كليّاتنا، الهندسة، وإدارة الأعمال والعمل الإداريّ والطبّ، الملتزمة بالحصول على اعتماد يحمل صبغة أميركيّة، ستواجه الجامعة، كمؤسّسة، هذا التحدّي المتمثّل في نيل الإعتماد من أجل ترسيخ مكانتها الدوليّة إنطلاقًا من بيروت.

ثالثًا، لا ننسى أنّ تنشئتنا الشاملة هي التنشئة على التنمية المستدامة ومفاهيم العدالة والمسؤوليّة الإجتماعيّة التي يتحمّلها الطالب وكلّ عضو في الأسرة الجامعيّة. نحن لا نشكّل أناسًا آليين (روبوتات) مبرمجة تقنيًّا في خدمة السوق، بل رجالًا ونساءً يعيشون ويعملون "مع الآخرين ومن أجل الآخرين"، وفقًا لما قاله الأب كولفنباخ. وهكذا لن يكون الإعتماد أكاديميًّا فحسب، بل سيكون أيضًا إعتمادًا يطال المسؤوليّة الإجتماعيّة بدعوة من الإتّحاد الدوليّ للجامعات الكاثوليكيّة الذي اختار مؤخّرًا جامعة القدّيس يوسف من بين عشر جامعات كاثوليكيّة في العالم لتحقيق نموذجٍ للاعتماد على المستوى الدوليّ. ويمكن تمديد هذا الإعتماد نفسه بما يسمّى "إمتحان الجامعات اليسوعيّة في العالم" الذي يحدّد ما إذا كانت جامعتنا تحترم المعايير التربويّة والإجتماعيّة الإغناطيّة. ولماذا لا نفكّر أن ترد تنشئة الطالب الإنسانيّة والإجتماعيّة في حافظته الإلكترونيّة بطريقة مؤسّساتيّة من خلال الإشارة مرّة واحدة على الأقلّ خلال مسار دراسته إلى التزامه الإجتماعيّ والمتعلّق بالمواطنة ؟

رابعًا، جدّدت جامعتنا خيارها القديم من أجل بلورة أبحاث عالية الجودة، كجزءٍ لا يتجزّأ من تنشئتنا، وتلبية الإحتياجات الوطنيّة والإقليميّة بشكلٍ خاصّ. ولكن أكثر من ذلك، سيكون على البحث أن يلبّي هذه الحاجة للتحليل، وإتقان النهج النقديّ، والتفكير، والتمييز بين العقل المتمحور حول المنطق والعقل المتمحور حول القيم. هناك معاهد عليا جديدة للدكتوراه الجديدة تغطّي اليوم جميع التخصّصات. نأمل بالتالي زيادة عدد طلاب الدكتوراه وتعزيز المنشورات، مع العلم أنّ جامعتنا أكّدت مكانة المعلّم–الباحث واستمرّت في تعزيزها. فالمعلّم–الباحث سيعرف كيف يجعل الطالب ينخرط ويندمج في ديناميّة بحثه ويجود في مناهجه التربويّة، الكلاسيكيّة منها والرقميّة، وكيف يصبح معزّزًا للمعرفة، بمعنى تداخل التخصّصات وتكامل المعارف. إنّ التحدّيات في مجال البحوث الأساسيّة والتطبيقيّة ليست نادرة، فهناك بالطبع حاجة للتمويل حتّى لو تمّ اتخاذ خطوات إيجابيّة مع المجلس الوطنيّ للبحوث العلميّة في لبنان. ومع ذلك ، حتّى لو تمّ وضع بعض محاور للبحث، سيكون من الضروريّ تحديد الموضوعات التي نفضّلها من حيث موقعنا في بيروت، ولكن أيضًا فيما يتعلّق بما هو دوليّ ناطق بالفرنسيّة وما يتخطّى الفرنكوفونيّة. وهكذا، في مجال العلوم، نقوم باختيار ما هو مربح للزراعة والصناعة المحليّة والإقليميّة ؛ وفي العلوم القانونيّة والسياسيّة، لا نتردّد في العمل على القانون الدستوريّ، وعلاقة الدين بالسياسة، والتنشئة على المواطنة ؛ وفي العلوم الإنسانيّة والدينيّة، نتطرّق إلى أسس الحوار بين الأديان والمناهج التأويليّة للنصوص المقدّسة ؛ وفي العلوم الهندسيّة نقتفي آثار التكنولوجيا الرقميّة ضمن نظريّات المعرفة ؛ وفي العلوم الإقتصاديّة، نعالج مشاكل الإقتصاد اللّبنانيّ والإقليميّ ؛ وفي مجال العلوم الإجتماعيّة، نتطرّق إلى مسألة العنف وتطوّر مجتمعاتنا ؛ وفي علوم الصحّة، نتطرّق إلى القضايا الوراثيّة ودورها السلبيّ في حياة الأسر، وعلم الأورام الخبيثة، والإدمان على الموادّ الخطرة بشكلٍ خاصّ وقضايا الإعاقة في جميع أشكالها.

خامسًا، لقد أولي اهتمامٌ حقيقيّ لوضع الطالب في السنوات الأخيرة لأنّ الطالب هو علّة وجودنا ونريد أن تمنح جامعتنا مساحة أكبر للحياة الطلّابية واحتياجات الطلّاب. أعتقد أنّ هناك خطوة إيجابيّة حقيقية تمّ إجراؤها فنحن ننظر أكثر فأكثر إلى الطلّاب كبالغين مسؤولين. في النقاط المختلفة التي تمّ التطرّق إليها أو التي سيتمّ تناولها، الطالب هو محور اهتماماتنا. وبالنسبة إلى المستقبل القريب، والعمل على المدى المتوسّط، سيتمّ العمل تجاه الطالب في الإتّجاهات التالية : 1) تعزيز الحياة المجتمعيّة لرابطات

قدامى الطلّاب التي ينتخبها الطلّاب في الأحرام الجامعيّة وبين هذه الأحرام، فتحمل مشاريع تنشئة على المواطَنة وتُدرَج هذه التنشئة ضمن دفتر شروطهم وعلّة وجودهم ؛ في هذا السياق، يتمّ التحضير لتنشئة مستمرّة لمسؤولي رابطات القدامى والنوادي على إدارة فرقهم ؛ وكذلك الأمر، وبهذا الإتّجاه، يخضع أيّ طالب لقانون المعلوماتيّة في ما يتعلّق بوسائل التواصل الإجتماعيّ ليمارسه على صفحته الخاصّة، وعلى صفحته الخاصّة وعلى محتواه بتعهّدٍ يأخذه على عاتقه بعدم وضع صفحة تتضمّن إهانات للآخرين. تسعى التعديلات الأخيرة على قانون الإنتخابات والتي ستُطَّبق في بداية العام الدراسيّ الجديد إلى جعل هذا التمرين تصرّفًا فيه بلوغ يُنهي حالة العنف غير المبرّر والكراهية الحزبيّة. 2) لن تكون التنشئة على تنظيم المشاريع خيارًا من بين خياراتٍ أخرى، بل تنشئة تكاد تكون إلزاميّة للجميع لأنّنا نعتبر أنّ طلّابنا بالغين مستقلّين، ممّا يدعو إلى تفضيل المشاركة وتحمّل المسؤوليّة. حين نكون قريبين من الطلّاب، يمكننا أن نقدّم لهم خطابًا وممارسات تشجّع احترام الإنخراط المهنيّ بغية توظيف الشباب، من هنا اهتمامنا بدعم مؤسّستنا الحاضنة "بيريتيك" Berytech الغنيّة اليوم بسنوات من الخبرة وتعزيز علاقاتنا مع الشركات. 3) إعطاء أي نشاط، لا سيّما الأنشطة الإجتماعيّة والإنسانيّة في خدمة الآخر، قيمة أكاديميّة ومؤسّساتيّة دامجة في مفكّرة الطالب حتّى لو حافظ هذا النشاط على طابعه التطوّعيّ والمجّانيّ.

سادسًا، عند مفترق الطرق هذا، مفترق جامعة القدّيس يوسف، سيركّز العمل التربويّ المزوَّد بالتقليد التربويّ اليسوعيّ والإنسانيّ وكما تعلّمه القدّيس إغناطيوس خلال تنشئته في "السوربون" في منتصف القرن السادس عشر، على توفير التنشئة، في مجال الوساطة، لأكبر عدد من الفاعلين في الجامعة، للهيئة التعلّيميّة وغير التعليميّة، وللطلاب والخرّيجين. سوف تقوم جامعة القدّيس يوسف بتوسيع نطاق مهمّتها الوطنيّة ضمن بوتقة اللّقاء والعيش معًا، والتفكير الأخلاقيّ والإنسانيّ، ومختبر الديمقراطيّة والمشاركة في خدمة الجميع. إنّها بوتقة، ولكنّها أيضًا مكان تُجرى فيه الأبحاث الموضوعيّة في ما يتعلّق بلبنان والعالم العربيّ، حول إدارة التعدديّة السياسيّة والإقتصاد في وقتٍ يتمّ فيه الحثّ على تعزيز المتغيّرات في العالم العربيّ ؛ وهي تعزّز مهمّة "اليوم السابع" لتكون في خدمة تنمية المدينة، لا سيّما في مناطقها المهمّشة والمحرومة، وفي خدمة النهوض بالمرأة والطفل ؛ وفي النهاية، هي تسعى لأن تكون مكانًا يؤمّه من يرغبون ويرغبن الإنضمام إلى جامعتنا ولكنّهم يفتقرون للوسائل الماليّة لينخرطوا فيها.

أُنهي هذه السلسلة من مكوّنات الرؤية بالجزء المثير دومًا للإهتمام والذي يتعلّق بالبُنى التحتيّة القديمة بغية تجديدها، والبُنى الجديدة التي نتوقّع إنشاءها، ودائمًا في خدمة رسالة الجامعة التعليميّة. وقد تمّ تجديد مقرّ رئاسة الجامعة مؤخّرًا ؛ وهناك ورش عمل أخرى قيد التنفيذ أو مخطّط لها، بما فيها "مساحة الحرم الجامعيّ المركزيّ" المتّصل بجسور للمشاة أو أنفاق على مدى 70.000 متر مربّع من طريق الشام. سيتمّ بناء حرمين جديدين، الأرض التي ما زالت بورًا، لإقامة متحف سيضمّ متحف الفنّ المعاصر والكلاسيكيّ اللبنانيّ ومركز الإقتصاد والإدارة في حديقة "قرم". وسيتمّ تنفيذ المباني الجديدة، مثل كليّة الطبّ الجديدة والمستشفى الإفتراضيّ، بالإضافة إلى تجديد البُنى التحتيّة القديمة في سياق توفير مساحة جامعيّة خضراء. فسوف يتمّ إنشاء مواقف للسيّارات في الحرم الجامعيّ للعلوم الطبّية وفي مار روكز، وتعزيز إنتاج الطاقة الشمسيّة ضمن منظور الجامعة الخضراء. وننوي أيضًا أن نقدّم لطلابنا، وخاصّة من جاؤوا من خارج بيروت الكبرى، أكثر من خمسمائة سرير بأسعار تنافسيّة في بيتين جديدين للطلبة، واحد للفتيات ويحمل اسم "إيزابيل تيّان" في الأشرفيّة والآخر قيد التنفيذ والبناء في مار روكز. وسوف تضمن جامعة القدّيس يوسف رؤية أفضل لسائر أحرامها، بما فيها الحرم التاريخيّ القائم في شارع هوفلين Huvelin والحرم التكنولوجيّ في مار روكز وكذلك المراكز الأكاديميّة في زحله وطرابلس وصيدا.

من أجل التمكّن من تحقيق هذه الأهداف المختلفة التي تصبو نحو التميّز والتي قمت بتعدادها للتوّ، ومن أجل بناء بنى تحتيّة جديدة ومساعدة الآلاف من الطلاب لإكمال دراستهم، يجب على الجامعة أن تزوّد نفسها بالوسائل لتحقيق طموحاتها ويجب ألا تخاف من أن تقرع الباب (بالمعنى الإنجيليّ للكلمة) من أجل جمع الأموال اللازمة. أنا متأكّد من أنّ الخرّيجين من جامعة القدّيس يوسف، باتّحاد رابطات قدامى الطلاب، وخرّيجي كلّ كليّة، سيستمرّون شركاء مقرّبين ومفضّلين لإنجاز هذه المشاريع ولدعم روح الشراكة بينهم والعمل بكلّ قوانا من أجل أن يعبر لبنان نحو دولة المواطنين المتساوين في الحقوق وفي الواجبات أيضًا.

ولا أنسى مؤسّسة الخدمات الصحيّة الكبيرة، مستشفى "أوتيل ديو دو فرانس" Hôtel-Dieu de France، مركزنا الإستشفائيّ الجامعيّ، الذي التزم بمشروعه الخاصّ للسنة 2020 من أجل التجديد والترميم وإنشاء وحدات خدماتيّة عالية الأداء. أودّ أن أُعرِب عن امتناني لراهبات القلبين الأقدسين اللواتي يُنهين وجودهنّ كجماعة دينيّة في المستشفى منذ قرابة قرن من الزمان، لكنهنّ يستمرنّ في إدارة وحدة

الخدمة الرعائيّة الكبيرة التي تضمّ 300 ممرّضة من المؤسّسة ! من أجل تقديم خدمة أفضل إلى مرضانا، نعمل مع الجميع، وخاصّة مع الهيئة الطبّية، في إصلاح بعض الأنظمة التي يجب أن تتماشى مع متطلّبات الإعتماد التي ستحصل عليه كليّة الطبّ. تشكّل خدمة مرضى لبنان والمنطقة العربيّة، بالإضافة إلى تنشئة الكفاءات الأكثر تقدّمًا، قضيّة علميّة وإنسانيّة أساسيّة، عهدت بها جامعة القدّيس يوسف إلى هذا المركز الإستشفائيّ الذي يمثّل الطبّ الفرنكوفونيّ في تأثيره القائم على أسس المهارات العلميّة الأكثر تقدّمًا وقيم الجهوزيّة وحماية كرامة كلّ شخص.

القسم الرابع : تميّز شهاداتنا وفرص العمل

أين نرسّخ هذه الرؤية وكيف نترجمها إلى إنجازات إن لم يكن في لبنان حيث نقدّم تنشئة إلى طلابنا للحصول على شهادات ذات قيمة محليّة وعالميّة ؟ لكنّ بلدنا لا يزال عرضة للتهديد من مخاطر داخليّة وخارجيّة : فتصنيفه يزداد سوءًا فيما يتعلّق بالشفافيّة والفساد (وهو يحتلّ المرتبة 136 من بين 176 دولة) وكذلك على المستوى الإقتصاديّ والسياسيّ. ولهذا السبب فإنّ السؤال الذي نطرحه على أنفسنا قبل أن نطرحه على الآخرين هو سؤالٌ بالغ الأهميّة : لماذا نخرّج سنويًّا حوالي 3000 طالب، إذا كنّا نعلم أنّ حوالي 50 بالمائة منهم سيسلكون طريق الهجرة ؟ هل من الطبيعيّ، كما يقول لنا البعض، وكلامهم لا يخلو من النقد والسخرية، أنّ جامعة مثل جامعة القدّيس يوسف تقوم بتنشئة طلاب للهجرة، وبعضهم أصبح من بناة الأمم المتعدّدة ومبدعين للمِهَن في الخارج بدلاً من بناء بلدهم وشركاته ؟ هل تُعتَبَر هجرة العقول اللبنانيّة ورقة رابحة أم خسارة حقيقيّة للبلاد ؟ هل الأزمة الإقتصاديّة الحاليّة مسؤولة عن رحيل خرّيجينا نحو فضاءات أخرى ؟ هل يجب علينا تكييف شهاداتنا مع حدود الإقتصاد اللّبنانيّ أو الإستمرار في تنشئة النخبة المثقّفة اللّبنانيّة وبالتالي الموارد البشريّة المزوَّدة بالقيمة العالميّة ؟

ليست الهجرة واقعًا جديدًا على لبنان الذي شهد موجاتٍ من رحيل أبنائه، مسيحيّين ومسلمين، نحو بلدانٍ أخرى ليستقرّوا فيها، وفي بعض الأحيان لتغيير الجوّ، أو العيش في بلد يحترم مواطنيه، أو ببساطة من أجل كسب عيشهم. خلال أعوام الحرب الأهليّة، غادر أكثر من مليون شخص لبنان لكي لا يعودوا أبدًا إلى "مرقد العنزة"، كما يقول المثل "نيّال لعندو مرقد عنزة بلبنان". من بينهم، أكثر من خمسين في المائة كانوا أطفال وشباب يبلغ عمرهم أقلّ من 24 سنة. إنّها لخسارة قاسية لن يعوّضها أي قانون إنتخابيّ يأخذ

في الاعتبار تصويت المغتربين أو البحث عن مستثمرين لبنانيين سابقين في بلدهم. ويستمرّ هذا النزيف في التأثير سلبًا على الإنتساب إلى جامعاتنا المرموقة وكذلك إلى المدارس القويّة. هناك المزيد من المغادرين نحو الخارج طلبًا للاستقرار، وعدد قليل من التلامذة في مدارسنا وعدد أقلّ من الطلاب في جامعاتنا وخاصّة أنّ جامعات ممتازة نشأت في تلك البلدان التي استقبلت المهاجرين من بلادنا. وفقًا لوسائل الإعلام، ترتبط الهجرة الحاليّة بأزمة إقتصاديّة كبيرة تضرب جميع القطاعات وتؤثّر عليها، من العقارات إلى المتاجر الكبرى، من الملابس إلى السياحة، من الصادرات الزراعيّة والصناعيّة، ناهيك عن أزمة النفايات التي لم تجد بعد مخرجًا حقيقيًّا لها. لحسن الحظ، تلعب تدخّلات مصرف لبنان دورًا وقائيًا لمنع الإنهيار الذي يتنبّأ به البعض باستمرار، لكنّه لا يزال يساعد الطلاب الجامعيّين بمنحهم قروض بفائدة تفضيليّة، على الرغم من وجود بعض القيود اليوم.

ويشير تشخيص الإختصاصيّين إلى أنّ أصل الأزمة يعود إلى وجود نقصٍ في الاستثمار في ايجاد المِهن لأنّ لبنان لم يعد آمنًا من الناحية الماليّة والإقتصاديّة. المهمّ في هذا الواقع هو ايجاد القيمة الإضافيّة بدل الإكتفاء بتجارة الأملاك. يخبرنا هؤلاء المتخصّصون أنّ الإقتصاد القائم على أصحاب الايرادات والدولة التي تحرّكها المحسوبيّة والمحاباة لا يحفّزون أبدًا على الاستثمار في قطاع الإبتكار ولا في القطاعات الصناعيّة والتصنيعيّة التقليديّة التي تخلق فرصًا للعمل. والنتيجة هي معدّل بطالة في العام 2017 تتأرجح حول 25٪ ، لكنّه يصل إلى 34٪ عند من هم دون الخامسة والعشرين من عمرهم، علمًا أنّ معدّل البطالة بين الخرّيجين اللّبنانيّين قد تجاوز اليوم 30٪، وهو المتوسّط بالنسبة إلى المنطقة العربيّة، في حين كان هذا المعدّل من 10 إلى 12 في المائة في العام 2013. لا أريد أن أنسب هذه الأرقام المقلقة جدًّا بالنسبة إلى جامعاتنا إلى الوجود الفعّال والكفوء لليد العاملة السوريّة. إنّ نسبة الطلاب المتقدّمين بطلب مِنَح دراسيّة أو قروض إزدادت بنسبة تتخطّى 100 في المئة بين الأعوام 2013 و 2017. ولكن هل يُعقَل أنّ الجامعات اللّبنانيّة تخرّج سنويًّا من 000 23 إلى 000 25 طالب في وقت لم تعد فيه البلاد قادرة على تقديم أكثر من 4000 فرصة عمل لهؤلاء الخرّيجين ؟ في جامعة القدّيس يوسف يمكننا إنشاء خدمة توظيف للخرّيجين وتنظيم منتدى للتوظيف، ولكن ماذا نفعل في مواجهة أوضاع ترزح تحت وطأة النقص في الموارد وتتخبّط في الأزمات ؟ صحيح أنّ الانخفاض في أسعار النفط الخام، والتهديد بخطر اندلاع الحروب الجيوسياسيّة الإقليميّة، وانخفاض تحويل الأموال من

المهاجرين أمور لا تؤدّي إلا إلى زعزعة استقرار إقتصادنا ! حدود خطابي تمنعني من الغوص في تحليل هذه الأوضاع، ولكنّي أصرّ وأؤكّد وجوب أن نجد بسرعة مخرجًا لحالةٍ قد تتدهور وتهدّد القطاعات التي لا تزال قائمة مثل قطاعَي الصحّة والتعليم. ميشال شيحا، صاحب نظريّة الصيغة اللّبنانيّة، المعروف جيّدًا بتحليلاته الإقتصاديّة، كان يتنبّأ بفشل النظام السياسيّ اللبنانيّ في حال لم يتمّ اتّباع التنمية الإقتصاديّة بطريقة عادلة للجميع. كان هو الذي قال إنّ "التميّز في التعليم الجامعيّ الذي يخلق الموارد البشريّة المختصّة هو باب النجاح الإقتصاديّ اللّبنانيّ"[17]. لديّ انطباع بأنّ كل هذا أصبح طيّ النسيان لصالح سياسة إقتصاديّة تسعى للحصول على دعم خارجيّ لا مستقبل له. هل سيأتي هذا الحلّ من الشركة الدوليّة للإستشارات التي دعتها الحكومة اللبنانيّة من أجل تقديم المساعدة في إعادة تنظيم الإقتصاد ؟ كما لو أنّ إقتصاد ما بعد الحرب اللّبنانيّة كان يعاني من مشكلة تشخيص بدلًا من الفساد المستشري بسبب المحسوبيّة الطائفيّة، والخيارات الماليّة والنقديّة التي تكرّس طابع هذا الإقتصاد غير المنتج والذي لا يدرّ الايرادات، على حساب الإستثمارات في الإقتصاد الفعليّ، ناهيك عن التعقيدات الإداريّة والقانونيّة التي تجعل أفضل المقاومين يلجأون إلى الهرب. دعونا نعود إلى السبب للعثور على العلاج الصحيح بدلاً من إدارة حلول مؤقّتة وعابرة لا تحلّ مشكلة الشرّ حيثما تدعو الحاجة إلى حلّها.

وأوضاع الخلل في النظام الجامعيّ ؟

نرى بوضوح أنّ أصل الشرّ لا يكمن في هذه التنشئة العلمانيّة التي توفّرها كلٌّ من الجامعة الأميركيّة في بيروت وجامعة القدّيس يوسف إلى النُخّب الفكريّة اللّبنانيّة، منذ منتصف القرن التاسع عشر، بل في السياسات الإقتصادية والإجتماعيّة التي لا تصل أبدًا إلى تحقيق ذروة الآمال الموضوعة فيها وفي السياسيّين والقادة الذين يديرون شؤون بلادنا. في هذا السياق، ومنذ بعض الوقت، بدأ نظامٌ جامعيّ أو نظام طفيليّ بالتوسّع من منظور تجاريّ وطائفيّ، بغياب التشريعات التي تتطلّب ضمان الجودة ولا سيّما تصرّف أخلاقيّ لهذه المؤسّسات ! هذا ما يفسّر ما جاء في تقريرٍ متلفز تطرّق إلى بيع الشهادات في المزادات العلنيّة أو تقرير آخر حول إحدى الجامعات الناشئة التي تسجّل 930 طالب دفعة واحدة في السنة الأولى من الهندسة ! أو جامعة ثالثة تستورد شهادات الدكتوراه من الخارج وتبيعها ! أليس تدخّل

(17

السياسة هو الذي جاء يهدّد نظامًا جامعيًّا تاريخيًّا كان ولا يزال فخر اللبنانيّين، "هذه السياسة التي لا مكان لها في الفصل الدراسيّ في الجامعة" بحسب عالِم الإجتماع ماكس ويبر Max Weber ! ولهذا السبب أصبح من الضروريّ تعزيز تحالف الجامعات التاريخيّة اللّبنانيّة والجامعة اللّبنانيّة، وهو تحالف بدأ بتوقيع الإتّفاق بين الجامعة الأميركيّة في بيروت وجامعة القدّيس يوسف في بيروت من أجل إعطاء مثل عمّا يمكن أن تعطيه هاتان الجامعتان التاريخيّتان معًا اللتين ساهمتا في صنع لبنان اليوم والدفاع عن تميّز الدبلوم اللّبنانيّ.

تتطلّب هذه الملاحظة حول خلل النظام الجامعيّ إعادة تأهيل الدولة اللبنانيّة، وهي مهمّة تقع على عاتق أي قوة سياسيّة تؤمن بسيادة لبنان كوطن ودولة. نحن نعلم أنّ تفكّك الدولة يسلّط الضوء على الهويّات السياسيّة والإنتماءات الدينيّة والمذهبيّة بطريقة تجعل المواطن مواطنًا في انتماءاته بدلاً من أن يصبح مواطنًا للدولة. لم يعد بوسع بلدنا أن يعيش شغف الهويّات الذي أصبح شغفًا مقدّسًا وأدّى إلى فشل الثقافة السياسيّة أو ثقافة المواطنة القائمة على قِيَم التضامن والرغبة في العيش معًا والتناوب في السلطة. يجب علينا الخروج من ثقافة الرعيّة إلى ثقافة المواطنة التي تفترض إحترام حقوق وواجبات الجميع. الفساد يكمن في جعل العامّ مسألة خاصّة أو مسألة خاصّة بحزب أو تيّار، ويجب أن يكون التعلّق المفرط بالوطن ملموسًا كما بلوره ماكس فيبير Max Weber. يجب أن نركّز على المواطنة الشاملة التي تأخذ بعين الاعتبار التعدديّة الدينيّة والمطالب الفرديّة. إنّ طريقة تقاطع المعرفة، ووجهات النظر المتعلّقة بالقانون هي المقياس الصحيح لتولّي إدارة جيّدة للتعدديّة. التعدديّة الجيّدة هي التي تُعتمَد من أجل تعزيز الروابط الإجتماعيّة تحت رعاية الدولة. في الواقع، المساحة العامةّ لا تُفقِد الناس هويّتهم. قوّة هذه المساحة هي أنّها قادرة على الترحيب بالجميع، كلّ واحد كما هو في مذهبه ولونه، وحتّى لو كان بلا دين. لطالما أرادت جامعتنا أن تكون هذه المساحة التي يجب أن تتوسّع لتشمل لبنان برمّته. دعونا نعمل اليوم لاستعادة هذه المساحة من الحوار من أجل بناء دولتنا.

الخاتمة : شهادة تتعلّق بجامعة القدّيس يوسف

في الختام، سأستعيد شهادة أدلى بها نجم لبنانيّ ليس من قدامى جامعة القدّيس يوسف السابق لكنّه معروف جدًّا على الشاشة الصغيرة من مشاهدي التلفزيون اللّبنانيين. إنّها شهادة ممتعة لنا بقدر ما تجعلنا

نفكّر. كان يتحدّث مؤخّرًا إلى خرّيجيننا الذين نالوا شهادة الماستر في السلامة المروريّة والتي نزوّد بها الطالب بالمشاركة مع مؤسّسة "رينو" Renault الدوليّة (أقتبس منه :) "اسمحوا لي أن أهنّئكم أيها الخرّيجون الأعزّاء ؛ إنّه لفخرٌ بالنسبة إليّ أن أكون مكرَّمًا هذا المساء في هذه الجامعة الهامّة التي تلخّص هويّة لبنان القيم باختياري للمشاركة في حملة الفنّانين السفراء للسلامة المروريّة ؛ إنّه لفخرٌ أن أخاطبكم من هذا المنبر البارز، منبر جامعة القدّيس يوسف في بيروت ؛ إعلموا أنّ هذه الجامعة ليست مثل الأخرى ؛ لقد أحدثت الفرق بأنّها كانت منذ فترة طويلة في خدمة كلّ لبنان، لبنان الذي يضمّ جميع المواطنين بغضّ النظر عن أيّ روح حزبيّة أو مذهبيّة أو طائفية، وإنّما بروحٍ من المواطنة اللّبنانيّة وفي خدمة بلدنا بقلبٍ كبير وروح شاملة ! وإنّي إذ أهنّؤكم كونكم تتخرّجون هذا المساء من هذه الجامعة، إعلموا أنّ صوت هذه الجامعة لن يموت أبدًا، وسوف يكون دائمًا مرتفعًا لأنّه صوت المعرفة والثقافة الإنسانيّة والمحبّة التي لا تنضب أبدًا." أصحاب السعادة، ضيوف الشرف الأعزّاء، أيّها الأصدقاء الأعزّاء، ما سمعناه شهادة ؛ ومن الآن وصاعدًا أصبحت شهادة محفورة في عقولنا وقلوبنا في خدمة مهمّتنا المتمثّلة في تخريج شبابنا من أجل أن يكون لبنان بلد الإشعاع إلى الأبد.